الصهيونيين نحو ٤٥ دبابة وسيارات شحن وأتوبيسات وتراكتور واحد . ورأى قائد مناضلينا في الجبل الغربي النجدات الصهيونية آتية من الغرب ، عبر أرض محروثة بالتراكتور . فانتظر عليهم حتى أصبحوا على بعد ٢٠٠ متر من قوته ، ففتح عليهم النار وسقط منهم الكثير . وفر الباقون الى أحراش مستعمرة خلدة ، وبعد أن تجمعوا في الاحراش عادوا وهاجمونا تؤازرهم احدى الطائرات . وكانوا يستخدمون الاسلحة الاتوماتيكية والمدفعية ، وقد أرسل الينا حسن سلامة نجدة مكونة من ٢٥ مناضلا تقلهم مصفحتان ، وقد وصلتنا هذه النجدة دون طلب منا ، ويبدو ان ركاب السيارات المارة بالطريق قد أخبروه بالمعركة فبادر بارسال رجاله .

وطلب الي عبد الجبار الانسحاب الى المعسكر والتحصن داخله ، الا أنني رفضت ، وجمعت وحدة رشاشات البرن — وكانوا ١٣ رشاشا — وكان مع جيش الانقاذ رشاش برن فرنسي ، وبدأنا هجومنا المضاد حيث دحرنا القوات الصهيونية المهاجمة ، ووصلنا الى الدبابات فوجدنا تراكتور، وسيارة شحن من نوع ماك ألمانية فسحبناها بعد غياب الشمس الى المعسكر ، وكان بها ١٥ طن أغذية ، وسيارة أخرى حمولة ٨ طن أغذية و٥ مصفحات ، ونسفنا الاتوبيسين وسيارتي الشحن الاخريين ، لعجزنا عن سحبهما بسبب غوص عجلاتها في الوحل . وبقيت مصفحتان في كل منهما ١٥ صهيونيا ، استمرا في مقاومتنا ، فنسفناهما بالغام ، وقد قام بنسفهما « سلام » الالماني ، الذي قتل في المعركة، نسفهما بعد اصابته بشظية من اللغم الذي نسف به الدبابة الثانية . وقد نقلنا قتلانا الى المسمية ، أما الجرحى فكان ينقلهم الهلال الاحمر المصري الى مدينة الرملة حيث كان مرابطا .

وقد خسرنا يومها ٤٠ شهيدا ونحو ٨٠ جريحا . ودامت المعركة ١٤ ساعة . وقد علمت من حاكم لواء غزة الانجليزي — عندما التقيت به في اليوم التالي بالمسمية — أن الصهيونيين فقدوا حوالي ٣٠٠ شخص بين قتيل وجريح . وقال الحاكم « اذا بقي العرب هكذا فان الصهيونيين سوف يفنون » . وأذكر من الشهداء : محمد حسين بدوان (المسمية) ، أحمد زايد النجار (المسمية) ، محمود ريان (القسطينة) .

وحدث عند عودتنا بالدبابات والسيارات المغنومة ، أن التقت بنا قوات الامن الانجليزية وطلبت الينا اعادة الغنائم للصهاينة ، فرفضت ، وكدنا نشتبك مع الانجليز ، لولا أن القائد الانجليزي قال انه سيحضر الى معسكرنا في اليوم التالي ، للتفاهم معي بصدد هذه الغنائم . الا انه لم يحضر .

وتجددت المعارك بيننا وبين الصهيونيين في تلك المنطقة ، وبشكل يومي .

وفي يوم معركة القسطل (١٩٤٨/٤/٨) وقعت معركة طاحنة بيننا وبين العصابات الصهيونية . وكان المرحوم عبد القادر الحسيني قد أرسل الي طلبا للنجدة في القسطل ، الا أن الذين أوفدهم الينا لهذا الغرض رجعوا اليه بعد أن رأوا معركتنا التي استمرت من التاسعة صباحا حتى الواحدة والنصف مساء ، وقد توقفت المعركة بعد نفاد ذخيرتنا . وعندها ركبت احدى المصفحات وتوجهت الى الرملة ومعي عشرة مناضلين ، بهدف احضار ذخيرة ، حيث قابلت محمد نمر المصري (عضو اللجنة القومية في الرملة) وأخذت منه ورقة الى فندق بانوراما برام الله ، وهناك التقيت بسيدة — أعتقد انها زوجة المرحوم عبد القادر الحسيني — واخبرتني انها أحضرت ١٥ صندوق ذخيرة من الجيش الاردني وأرسلتها بكاملها الى عبد القادر في القسطل . وعدت بدون ذخيرة الى المعسكر . ويبدو أن الصهيونيين كانوا يهدفون — من وراء جرنا الى هذه المعركة — الى الحيلولة دون نجدة اخواننا في معركة القسطل .

وفيما بعد نجحت في الحصول على صندوقي ذخيرة من القرى المجاورة ، ودفعت مائة